# حركة الأدب التقدمي في لبنان
## من خلال الجمعيات الأدبية واتحاد الكتاب

بقلم أحمد أبو سعد

قد يكون مفيدا في مقدمة هذا الحديث أن أشير الى أمرين : أولهما ان الكلام فيه يتناول الفترة الممتدة من مطلع الخمسينات حتى يومنا الراهن ، وهي الفترة التي بدأت فيها في لبنان تتكون جمعيات ومنظمات أدبية واتحاد كتاب ، وثانيهما ان المتكلم نفسه هو أحد الذين انتظموا في سلك هذه الجمعيات والمنظمات وأحد الذين رافقوا تحركها وأسهموا في حقل نشاطاتها .

قبل مطلع الخمسينات كان يتقاسم الظهور على مسرح الحياة الادبية في لبنان فريقان : فريق ادباء الانعزال من انصار ثقافة البحر المتوسط وجماعة « الفن للفن » الذين نشأوا في عهد الانتداب الفرنسي وتربوا في معاهده ، واستقر في نفوسهم حب الغرب والافتتان بأدبه ، وكره العرب ومعاداة لغتهم ، والسير في ركاب الغربيين الذين وجهوا الى اللبنانيين عبر مؤسسات التبشير التي أنشأوها في القرن التاسع عشر جيشا من غزاة الفكر وجنود الثقافة ، سبق زحف جيوش احتلال الاراضي ، وكان همه بث المبادىء والافكار التي تخدم مصالحه وتؤكد دوام التبعية له .

وقد ظهر هذا الهدف من خلال العمل الدؤوب الذي كان يقوم به المرسلون الاجانب اثناء اضطلاعهم بمهمة التعليم ، اذ ان مفهومهم الذي ساروا على هديه في تأدية مهمتهم كان نابعا من الوظيفة التي انتدبوا أنفسهم للقيام بها في ربوعنا وهي التبشير وما كان يرافقه من اثارة النعرات المذهبية وبث الثقافات العرقية والقيم المزيفة التي أدت الى خلق جيل من الادباء والمثقفين مسلوب الشخصية يعاني عقدة الشعور بالنقص واستصغار الشأن ازاء الاجانب ويحتقر أمته وتقاليده الوطنية ويتعالى على يوميات الحياة العامة ، وينظر الى الثقافة على انها وسيلة لتحصيل الرزق وزيادة المجد والرفاهية الشخصيين ، ويمارس الادب كشيء مجرد ومعزول عن حركة الواقع السياسي والاجتماعي ، ويتغنى بلبنان على انه ذو تراث خاص وحضارة مستقلة ولا رابط بينه وبين غيره من سائر الاقطار العربية .

وكان الفريق الثاني هو الفريق المؤمن بالقومية العربية ، الرافض في الاساس مبدأ الانتداب الفرنسي والناظر الى وطنه لبنان على انه جزء لا يتجزأ من وطن كبير يضم البلاد العربية ويرتبط به لبنان بوحدة اللغة والعادات والتقاليد والمصالح المشتركة ، وكانت هوية هذا الفريق الفكرية هوية محض عربية تستوحي القديم وتبحث فيه عن حلول لمشاكلها ، وتتجه في الادب الى تقليده او النسخ عنه واجتزائه بروح يمتلكها داء الاستعلاء والعزة القومية والاكتفاء الذاتي بما عندها والاستغناء عن منجزات الآخرين .

وبرغم ما كان يبدو من خلاف او تباعد في وجهات النظر بين الفريقين فان نقطة انطلاقهما كانت واحدة هي العنصرية ، ولا فرق بين ان تكون العنصرية هذه عنصرية ذات عرق فينيقي او عنصرية ذات عرق عربي ، فانها عنصرية على كل حال ، وان الادب او النتاج الثقافي الذي كان ينشأ عنهما كان مشوبا في اكثر الاحيان بنزعات لا تخلو من رواسب التعصب المذهبي او الطائفي او الديني الذي لا يزال وطننا اللبناني يقاسي مراراته حتى يومنا .

أقول قولي هذا ولست بغافل عن الدور الذي كانت تمارسه في بلادنا أسرة تحرير مجلة « الطريق » وعلى رأسها الادباء عمر فاخوري ورئيف خوري وجورج حنا الذين أسسوا في أثناء الحرب « عصبة مكافحة النازية والفاشية » التي أصبحت في ما بعد « جمعية العلاقات الثقافية بين لبنان والاتحاد السوفياتي » ثم « جمعية اصدقاء الاتحاد السوفياتي » ، والذين كان لهم دورهم الطليعي في مناهضة الاستعمار والفكر الانعزالي الرجعي الرامي الى قوقعة لبنان وفصله عن جيرانه العرب ، كما كان لهم موقفهم الخاص من العروبة المستمد من ايديولوجيتهم التي تؤمن بكيان مشترك للشعوب العربية ذي مضمون تقدمي لا اثر فيه للعرقية ولا للايديولوجية الدينية ، متفق في اتجاهه مع مقتضيات الواقع المحلي والقومي ومقتضيات الواقع الانساني ، قائم على تنمية أفكار الصداقة والتعاون بين الشعوب واحترام الخواص الوطنية لكل منها ، والعمل على تجنيد الادباء والمثقفين في الدفاع عن الحريات والتقدم انطلاقا من مبدأ الاقتناع بوجود صلة ديالكتيكية بين الفكر والعمل السياسي .

ان عمل هذه الفئة من أدبائنا كان نقطة التحول نحو أدب جديد منبثق عن حركة الحياة والواقع متلاحم معها ونافذ الى جوهرها عبر جدليات العصر والحقائق الانسانية التي اكتشفها الفكر الاشتراكي العلمي .

وقد تعاظم هذا النوع من الادب في مطلع الخمسينات على اثر انتهاء الحرب وحصول لبنان على استقلاله وانفتاح النوافذ فيه لدخول النماذج المتعددة من ادب الواقعية الجديدة التي نبتت في البلدان الاشتراكية ومنها انسربت الى لبنان حيث وجدت فيه حقلا خصبا للنمو والانتشار منه في البلدان العربية .

من هم الذين كانوا القيمين على هذا النوع من النشاط في هذه الفترة ، او الذين أسهموا مع غيرهم من الكتاب الوطنيين في احداثه ؟ كانوا فئة من أبناء الفلاحين والعمال وصغار الملاكين الذين نشأوا في ما بين الحربين ، وأحسوا بضغوط الاوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي كانوا يعيشون في ظلالها ، وهز مشاعرهم حدوث المؤامرة الاستعمارية التي أنشأت اسرائيل قاعدة للاستعمار العالمي في قلب البلاد العربية فلسطين ... ان هؤلاء الشبان بتأثير من هذه العوامل وبوحي من ثقافتهم الجديدة التي تربط الادب بالحياة ، وتؤمن بدوره الاجتماعي وتعتقد ان ازدهاره الحقيقي لا يمكن بلوغه الا في ظل الحرية والاستقلال وسيادة الشعوب ، وان تصفية الاستعمار والعنصرية هي من شروط التطور الكامل للاعمال الادبية .. انهم بفعل هذا كله انبروا لحمل رسالة الادب بهذا المفهوم ، ورأوا انهم لكي يؤدوا رسالتهم على وجهها الاكمل بحسن ان يتحدوا في تنظيم يضبط جهودهم ويبرزهم كقوة تعمل على دعم التيار الادبي النقدي الجديد الذي كان قد خلقه في لبنان عمر فاخوري واخوانه ، والذي بدأ الناس عندنا في تلك الايام يسمعون صوته بقوة في زحمة التيارات المثالية والانحلالية واللاوطنية التي كانت تروج لها بعض الجهات ، فتنادوا لتأليف جمعية أدبية سموها باسم « أسرة الجبل الملهم » وكان من اعضائها الدكتور علي سعد ومحمد عيتاني ومحمد دكروب وأحمد سويد وفؤاد الخشن ومصطفى محمود وكاتب هذه السطور (١) .

بدأت « أسرة الجبل الملهم » نشاطها خلال العام ١٩٥١ ، وقد افتتحته ببيان وزعته على الرأي العام الادبي ، ومما جاء فيه قولها ( وأجد هنا الحاجة ماسة لاثبات القول بنصه الحرفي لما فيه من فائدة في انارة هذه الحقبة من تاريخ الحركة الادبية في لبنان وتسجيل حقائق ربما فات الكثيرين الاطلاع عليها او معرفتها على وجه الدقة ) .

يقول البيان : « يدفعنا الى تكوين هذه الاسرة حاجة ملحة الى المساهمة في خلق أدب حي فاعل بناء ، وشعور بأن هذه الغاية لا تتحقق الا بالتعاون وتضافر الجهود ، ففي هذا العصر كل مجهود فردي مهما بلغت قيمته عقيم او ضعيف الاثر والفاعلية من الوجهة الاجتماعية ، والعمل الفردي يحمل معه عناصر الموت والاضمحلال لانه يتضمن شيئا من الانانية وعدم الشعور بالتبعة وبوجوب الرصانة والشدة في اتباع المقاييس .

ونحن نجتمع لنتعاون معا على درس مختلف المشاكل الادبية التي يضطرب بها مجتمعنا ، ولنعمل على تبادل النصح والتدقيق في آثار كل فرد منا وجهوده ، ولنساعد كل اثر موهوب على الظهور بالشكل اللائق ، ولننضم صوتنا الى أصوات العناصر الطالعة في لبنان وفي البلاد العربية في سبيل بعث حياة أدبية خيرة لخلق جو حضاري جديد ، ولنساعد في بناء مجتمع أفضل » .

وبصدد طابع الاسرة المميز واتجاهها في عملها الادبي ذكر البيان : « ان هذا الاتجاه وهذا الطابع محددان بحقائق ثلاث لا يجب ان تغرب عن بال اذا أريد خلق نشاط ادبي :

اولا ـ ان الفكر اللبناني مرتبط من جهة بالواقع اللبناني وبما يتضمنه من التقاء حضارات عديدة فيه على مدى حقبة طويلة من الزمن ، وضرورة وجود جو من الحرية والتسامح تيسر هذا الالتقاء وتساعد على تفاعل عناصره .

ومن جهة أخرى هو مرتبط بالواقع العربي : فلبنان يتصل عن طريق ماضيه القريب والبعيد بالتراث الحضاري الاسلامي العربي بصورة لا تقبل الجدل .

ثانيا ـ ان لبنان منذ قديم مفتوح للثقافة العالمية من يونانية ورومانية ولاتينية .

ثالثا ـ ان لبنان كفيره من بلدان الشرق مسرح لصراع عقائدي وحضاري من طراز جديد ، فمنذ فترة ما بين الحربين ظهرت قوى جديدة وحاجات جديدة في المجتمع اللبناني كما في كل مجتمع شرقي ، وبدأت طلائع معركة ، تارة خفية وتارة سافرة بين عالمين ، وعلى نتيجة هذه المعركة يتوقف مصير الشعوب الشرقية ، فأصبح لزاما تعبئة جميع القوى وفي مقدمتها الاقلام والفكر لخوض هذه المعركة الشاملة .

وعند تفهم هذه الحقائق يتضح سبيل العمل للاسرة » .

ثم مضى البيان في تحديد غايات الاسرة والوسائل التي ينبغي أن تتوسل بها لتحقيق هذه الغايات فذكر ان من غاياتها :

١ ـ العمل على احياء روائع الادب العربي القديم .

٢ ـ العمل على ربط أدبنا بالحركات الفكرية والادبية والفنية العالمية .

٣ ـ العمل على اكتشاف الثروات الفنية في حياتنا الشعبية وعلى تنمية التعاون بين مختلف نواحي النشاط الفني والفكري والادبي في لبنان .

٤ ـ العمل على اكتشاف المواهب الادبية وتشجيعها .

٥ ـ العمل على المساهمة في تبديد الظلمات التي تبعد بين الجماهير والعمل الحضاري وعلى مساندة الحركات التحررية من كل نوع في الشرق العربي .

ان هذا البيان كان بمثابة « مانيفستو » للحركة الادبية الجديدة، وقد اجتهد اعضاء أسرة الجبل الملهم ان يسيروا على هديه ، فبدأوا سيرتهم بالتعريف بأدب الواقعية الجديدة او الواقعية الاشتراكية ، ونقلوا الى لغتهم نماذج من آثاره ، فترجم علي سعد « مختارات من شعر ناظم حكمت » وأحمد ابو سعد رواية صدر الدين عيني « بخارى » وأحمد سويد رواية مكسيم غوركي « الام » ودراسة عن بابلو نيرودا ومختارات من اشعاره ، واهتم محمد عيتاني بنقل الكتابات الفكرية والدراسات النظرية المتعلقة بالمادية التاريخية وسير اعلامها ، وكان ذلك كله ايذانا بحدوث نهضة شاملة ظهرت آثارها في ما ألف من كتب ونظم من أشعار خلال تلك الفترة في لبنان وفي البلدان العربية .

وان أي باحث يتصف بالموضوعية وبالتجرد ، ويأخذ على عاتقه القيام بعملية استقصاء كافة العوامل التي أثرت في الادب يومذاك وبخاصة الشعر الواقعي منه الذي انصرف الى ممارسته عدد من الشعراء العرب الذين اصبحوا مشهورين اليوم كالبياتي وأمثاله ، أقول ان هذا الباحث لن يكون بوسعه اذا كان متصفا بهذه الصفات ضرب الصفح عن ذكر المقدمة التي استهل بها علي سعد ترجمته لاشعار ناظم حكمت وفيها رسم معالم الطريق الى الواقعية الجديدة في ما كتبه تحت عنوان « نحو أدب واقعي » قال :

« يسرنا ان نقدم شعر ناظم حكمت الى قراء العربية . فاننا نأمل بذلك ان تتيح لهم فرصة التعرف الى لون من الشعر الواقعي لم يفسح له بعد المجال الكافي في اللغة العربية .

واننا نعتقد ان الرجوع الى هذا النهج الشعري الذي يستمد عناصره ووسائله من واقع العيش وينابيع الحياة الشعبية ، من شانه ان يساعد على بث بعض الصحة والعافية في عروق أدبنا الذي افقرته وعمقته المذاهب التي نقلناها دون روية عن الادب الغربي من رومنطيقية الى رمزية وسريالية ، مذاهب لم تخلق لمجتمعنا الحاضر ولم تزد الهوة

---

(١) انتسب الى الاسرة او شارك في تأسيسها عدد من المثقفين بينهم المحاميان فيصل طباره وباسم الجسر والصحفيان جورج سكاف ووسيم تقي الدين والفنانان محمد قاسم عيتاني وايلي كنعان وقد اقتصرت أعلاه على ذكر الذين ما زالوا حتى اليوم يمارسون الاعمال الادبية .

بين الشعب والادب الا اتساعا .

ونحن نؤمن ان شعوب الشرق العربي في مرحلتها الحاضرة ، مرحلة النضال للتحرر من الاستعمار الخارجي والاستبداد الداخلي ومن انظلم الاجتماعي أحوج الشعوب الى تعبئة قواها الواعية مع القوى المتوثبة فيها ، والى تكوين أدب يعبر عن آمالها وكوامن الحياة فيها ويرسم اتجاهاتها ومصائرها ويبعد بها عن كل أعراض القلق والحيرة واليأس والاسترسال مع الاوهام والاحلام التي جاءتنا من المجتمع الغربي عن طريق المذاهب المثالية الآنفة الذكر .

لكننا مع هذا النموذج الرفيع من الشعر الواقعي نحب ان نقدم الى قراء العربية ناظم حكمت الانسان .

فمن هذا الشعر يطل وجه بطل انساني ورائد للحرية في هذا الشرق ومجاهد دفع في سبيل نصرة حقوق المغلوبين والمحرومين في بلده وفي كل بلدان الشرق الثمن الفادح ، فقضى في السجن ستة عشر عاما اقتطعت من زهرة ايام شبابه .

ونحن الذين نقف من معارك الحياة موقف المتفرج الآمن لا يسعنا الا ان نخجل من طمأنينة عيشنا وان نحس بصغرنا وتفاهة حياتنا امام جراح هذا الانسان الكبير وسخائه في التضحية وبساطته في القيام ببطولة العيش في الاغلال ليفسح للعبيد فك أغلالهم » .

ولن أسترسل اكثر مما استرسلت في اثبات النصوص الكثيرة الشاهدة على أهمية دور أسرة « الجبل الملهم » في الحياة الادبية اللبنانية والعربية من بعد ، لانتقل فأشير الى انه بعد سنة او اكثر من بروز الاسرة على مسرح الحياة الادبية في لبنان ظهر تجمع للكتاب والشعراء المشهورين او المكرسين رسميا ممن سبقوا الجيل الذي نتحدث عنه ، والفوا جمعية أدبية سموها « أهل القلم » . وقد رأى جماعة « أسرة الجبل الملهم » من قبيل الانفتاح او خطة التعايش ان يمدوا الى هذه الجمعية يد التعاون ويدخل فريق منهم في صفوفها كتلة واحدة تحتفظ بشخصيتها السابقة ، وتم ذلك واصبح للاسرة عدة مقاعد في جمعية « أهل القلم » تمكنها من الاشتراك في أعمال هذه الجمعية والتأثير في ما تتخذه من مقررات .

وفيما كانتالحياة الادبية فيلبنان تسير على هذا النحو ، وينشط فيها للتحرك فريق الادباء التقدميين ممن اتخذوا من مجلتي « الثقافة الوطنية » و « الطريق » منبرا لهم ، وفريق الالتزام الوجودي وانصار القومية العربية الذين اتخذوا من مجلة « الآداب » اول ظهورها مسرحا لنشاطهم ، والفريق المناوىء للفريقين السابقين المتمثل في المحاضرين في « الندوة اللبنانية » وبعض أعضاء أهل القلم ، أقول فيما كانت حياة الادب في لبنان تجري على هذه الصورة كان ينمو في الاوساط الفكرية التقدمية في البلاد العربية شعور بضرورة الاجتماع والتكتل وتنظيم الصفوف والتعاون بين الجميع لاجل القيام بنشاط يدعو الى ربط الكتاب بحياة الشعب ومشاركتهم في الكفاح من اجل الدفاع عن الحرية والاستقلال والثقافة الوطنية وفي بناء الحياة الجديدة .

وقد تجسدت هذه الامور في مؤتمر عقد في دمشق عام ١٩٥٤ بين التاسع من ايلول ( سبتمبر ) والحادي عشر منه بدعوة من « رابطة الكتاب السوريين » حضرته وفود من مصر والعراق والاردن وشارك فيه الادباء التقدميون اللبنانيون بوفد ضم حوالي اربعة وعشرين كاتبا وشاعرا ومفكرا كان حضورهم أشبه بتظاهرة فكرية ، وقد نتج عن هذا المؤتمر عدا المقررات المهمة تأليف رابطة أدبية باسم « رابطة الكتاب العرب » انضم اليها اللبنانيون من اعضاء « اسرة الجبل الملهم » واعضاء « رابطة الكتاب السوريين » وذوبوا كيانيها في كيانها ، كما دخلها لفيف آخر من اللبنانيين كالاديب المناضل حسين مروة والشاعرين حبيب صادق ورضوان الشهال . ويجد الباحث اخبار هذا المؤتمر وابرز أعماله منشورة في عدد خاص من مجلة « الثقافة الوطنية » صدر في ١٥ ـ ١٠ ـ ٥٤ .

بعد المؤتمر الذي انعقد في دمشق واقتصر على التقدميين فقط وحضره علمان من اعلام الادب واللغة في لبنان هما عبد الله العلايلي ومارون عبود انعقد في « بيت مري » بلبنان وفي شهر ايلول نفسه من العام ١٩٥٤ « مؤتمر الادباء العرب الاول » الذي تم بدعوة منجمعية « أهل القلم » وكانت الوفود اليه وفودا رسمية او ما يشبهها . ولكن هذا المؤتمر على الرغم من الرسميات التي سادت جوه ، والتجاهل لتيار الادب التقدمي من معظم حاضريه ، فقد أظهرت بعض المحاضرات التي القيت فيه والمناقشات التي تلتها ان موجة التطور قد شملت اوساطا كان يحسبها واضعو خطته بعيدة كل البعد عن هذه الموجة العارمة الصاعدة ، اذ ان ممثل الاردن ، وكان موضوعه « واجب الدولة نحو الاديب وواجب الاديب العربي نحو مجتمعه » قد نجح في ابراز مهمة الاديب الاجتماعية ورسالته الوطنية في مكافحة العوائق التي تعوق الشعب العربي نحو النهوض والتحرر . وقد وجدت بعض العناصر الرجعية والعاملة في ركاب الفكر الاستعماري المجال واسعا لها في أثناء مناقشة محاضرة مندوب الاردن لان تطالب بتقييد حرية الاديب وتفصل ما بينه وبين الادب السياسي التحرري ... ولكن العناصر الشريفة التي وصلتها موجة التطور قد وقفت في هذا المجال موقفا مشرفا ودافعت دفاعا مجيدا عن حرية الاديب وعن رسالته الوطنية التحررية . وكان ذلك انتصارا لقضية الحرية الفكرية ووضع الاديب امام مسؤولياته الوطنية والاجتماعية .

ولعلاعظم ما نتج عنانعقاد هذا المؤتمر هو انه كان فاتحة المؤتمرات الاخرى التي انعقدت بعده وسيطر فيها على مجالات التحرك ادباء انصهروا في حركة التطور الوطني العربي والعالمي معا ، ونزلوا الى ساحة النضال مع جماهير شعبهم ضد هجمات الاستعمار ومشاريعه الحربية العدوانية التي بلغت قمتها في الهجوم الثلاثي على مصر .

ان هذا الهجوم بما أعقبه من تهديد الاتحاد السوفياتي بالتدخل اذا استمر ، بواسطة انذاره المشهور الذي كان له دوره الحاسم في ايقاف المعركة ، أحدث تغييرا في تاريخ الحركة الوطنية والفكرية في لبنان والبلدان العربية ، اذ انه بدل النظرة الى السوفيات واثبت صحة الشعارات التي كانوا يطلقونها من اجل الحرية والسلام واقامة علاقات التعاون والصداقة بين الشعوب ودعم مواقف الادباء التقدميين الذين كانوا طالما نبهوا الى خطر الاستعمار وقيام تحالف بينه وبين الصهيونية العالمية ، كما أدى الى نشوء مرحلة جديدة تم فيها التلاقي بين سائر القوى المناهضة لاعداء الحرية في اجتماعات عدة كان أهمها الاجتماع الذي عقد في بيروت اثناء معركة السويس في دار مجلة « الآداب » التي يرئس تحريرها الدكتور سهيل ادريس وحضره كتاب وفنانون من مختلف الاقطار العربية اشتركوا مع اخوانهم اللبنانيين في توجيه نداء الى زملائهم الكتاب والمثقفين والفنانين في انحاء الدنيا لينصروا القضية العربية ويؤيدوا مصر في نضالها ضد العدوان .

على اثر هذا أخذت حركة الادب في بلادنا تتبلور وتتجمع في اقل ما يمكن من الاتجاهات المتحالفة متأثرة بالاحداث السياسية العربية والعالمية ، وبالتحولات التاريخية التي تنشأ عن هذه الاحداث . ويظهر من طابع النشاط الادبي في عام ١٩٥٧ ان تبلور الاتجاهات الادبية بدأ يميل الى تقريب بعضها من بعضها الآخر وصهرها الى حد ليس بالقليل في وجهة وطنية عربية منفعلة بتطور الكفاح العربي وانتصاراته .

ففي أوائل عام ١٩٥٧ ، وفي أعقاب العدوان الثلاثي على مصر

قبيل انتهاء العام ١٩٥٦ أخرجت « دار الفارابي » كتابا أدبيا شارك في كتابته نحو خمسة وعشرين كاتبا وشاعرا ينتمون الى اتجاهات فكرية وعقائد متعددة . صدر الكتاب بعنوان « في المعركة مع مصر » وفيه مقالات تمجد صمود الشعب المصري واستبساله في الدفاع عن استقلاله وسيادته الوطنية ، وتفضح بشاعة العدوان وتبارك تضامن الشعوب المحبة للسلام والحرية مع شعوبنا العربية المناضلة .

ونشطت مؤسسات النشر طوال تلك الفترة في اصدار عدد وافر من المؤلفات الادبية والفكرية التي تبحث في شؤون القومية العربية ، وفي قضايا الكفاح الوطني التحرري لكثير من بلدان آسيا وافريقيا ، وفي مسائل الفكر المرتبطة بأزمات تلك المرحلة التاريخية .

اما النزعة الى ثقافة البحر المتوسط فقد اخذت تميل الى الانكماش ولم يظهر يومئذ في لبنان اثر ادبي او فكري يدعو الى تأييدها او نشر اتجاهاتها ، ومثل ذلك حصل لنظرية « الفن للفن » التي أخذت تتراجع ثم كادت تقتصر على عدد قليل جدا من الادباء الذين انقطعوا عن الانتاج في ما بعد .

وقد فطن الاستعمار يومئذ الى هذا المد التقدمي الفذ الذي بلغ من نشاط الدافعين اليه ان الادب اصبح في ظلاله أدب الفئة التقدمية الواعية التي ارتبط نبض ابداعها بحركة الجماهير وباتت لها قوتها في تسيير حركة التاريخ .. فحرك أجهزته ، وحضها على القيام بنشاط معاكس تجلى في ما كانت تقوم به « المنظمة العالمية لحرية الثقافة » ومجلتها « حوار » والمؤسسة الاميركية المعروفة بمؤسسة « فرانكلين » من محاولات التسلل الى ميدان الثقافة والفكر بغية شراء الضمائر وتسخير الاقلام وافساد العقول وتفسيخ النفوس وبث الثقافات الاستعمارية المعادية لروح الثقافة الوطنية والقيم الحية في تاريخنا الفكري .. ولكن عمل الاستعمار هذا لم ينفعه في شيء ازاء ما كان قد انغرس في النفوس من عداء له ، فاتجه الى تحريك عملائه على الصعيد السياسي لضرب الحركة الوطنية وربط مصير البلاد بارادة الاستعمار الاميركي وقواعده العسكرية واحلافه الحربية العدوانية التي جوبهت عام ١٩٥٨ بحركة تحررية وطنية مسلحة خاض غمارها الادباء اللبنانيون الوطنيون الى جانب الجماهير بالسلاح والاقلام والاذاعة الخاصة بالمقاومة الشعبية ، وكان لها انعكاس على صعيد الوطن العربي بأكمله أدى الى حدوث ثورة ١٤ تموز في العراق واسقاط الملكية والحكم الرجعي ، وهي مما اوقع الذعر في صفوف المستعمرين الاميركيين الذين خشوا ان يفلت الامر من ايديهم نهائيا فسارعوا الى انزال قواتهم الحربية في لبنان ، وحسبوا انهم بعملهم هذا يلقون ترحيبا من بعض الفئات ، ولكنهم قوبلوا بالرفض من الجميع ، وحل اللبنانيون مشاكلهم على النحو الذي حفظ لهم وحدتهم الوطنية .

وحدث بعد ثورة العراق خلاف في وجهات النظر بين القوى الحاكمة في البلدان العربية المتحررة حول الوحدة بين مصر وسورية والعراق ، وحدثت الوحدة بين مصر وسورية ... ثم حدث الانفصال. واغتنمت قوى الاستعمار الفرصة لنشق الصفوف ، وتمكنت بعض الشيء .. الا ان الواقع الذي كانت تجابهه البلدان العربية ، من وجود اسرائيل في قلبها الى تضامن جميع قوى الامبريالية العالمية مع اسرائيل، الى نمو وعي شعبي متفهم لهذا الواقع ، حمل هذه البلدان على التضامن وفوت على الاستعمار الفرصة ، وحول مصر الثورة الى بلد يرفع راية التحرر ويؤمن بالاشتراكية ويمد يد الصداقة والتعاون الى كافة الشعوب المحبة للسلام والحرية والتقدم .

ومنذ ذلك الحين بدأت مرحلة اخرى من مراحل تطور النشاط الادبي في لبنان والبلدان العربية قوامها العمل على مضاعفة الجهد السائر في اتجاه دعم الحياة النضالية لشعوبها ، ونشر الوعي بوحدة مصيرها المشترك وتعزيز الروابط بينها وبين الكتاب الاحرار في آسية وافريقية وسائر انحاء العالم .

وكان اعظم تظاهرة أسفر عنها هذا النشاط انعقاد المؤتمر الثالث للكتاب الاسيويين والافريقيين في بيروت عام ١٩٦٧ بدعوة من ادباء لبنان وطلائع مثقفيه ورعاية من رئيس الدولة ورئيس الحكومة .

وما من شك في ان هذا المؤتمر كان عقده كسبا للبنان وانتصارا للفكر التقدمي المنفتح على الفكر الرجعي المنعزل بما اتخذ فيه من مقررات أيدت حق الشعوب في تقرير مصيرها وسلوك الدرب الذي تراه محققا لآمالها واهدافها ، وشجبت اساليب الاستعمار والامبريالية والرجعية والصهيونية .

وفيما كانت الحياة الثقافية في لبنان تسير على نحو من التطور أخذ فيه الاتجاه التجديدي في الادب يزداد اتساعا ونموا في أعمال الشعراء : خليل حاوي وأدونيس وميشال سليمان وحبيب صادق والكتاب سهيل ادريس وحسين مروة وميشال عاصي ومحمد دكروب وسواهم ، وقعت حرب حزيران المشهورة التي احتلت فيها اسرائيل الجزء الباقي من ارض فلسطين واجزاء اخرى من ارض مصر وسورية ، واصيب العرب على اثرها بنكسة عطلت قواهم المدركة وهزمتهم نفسيا بمقدار جاوز هزيمتهم العسكرية .

واغتنمت الدوائر المرتبطة بالاستعمار الاجنبي يومئذ الفرصة لتحدث تيارها الذي عصف بالبلاد وسط مشاعر الغضب والقلق ، ومضمونه ان هزيمة حزيران لا تقع المسؤولية في حدوثها على عاتق الامبريالية العالمية وحدها ، وانما على العرب انفسهم الذين يتحملون اكبر قسط من المسؤولية في ذلك ، على تخلفهم الحضاري واحاطة اوضاعهم بسياج من الجمود والتحجر .

وبدأت على الاثر حملة تشكيكية جائحة هدفها كان نزع الثقة من الانسان العربي . وقد وقع في شباك منظمي هذه الحملة كتاب وشعراء غابت عن ابصارهم وأفضل ان اقول بصائرهم الرؤية الفكرية لابعاد الازمة ولمضمونها السياسي الحقيقي وللعوامل التي تتحكم فيها من الداخل والخارج ، فانطلقوا ينعون اللغة والادب والفكر والثقافة العربية ، ويتهمون العرب بفساد تكونهم النفسي والروحي والفكري الذي ورثوه من سالف العصور .

ولم يكن بد لادبائنا المخلصين من التصدي لهذه الحملة والوقوف في وجه التيار الذي تثيره ، لا سيما بعد ان وصل ببعضهم الامر الى حد اتهام الجهة المتحررة من اقطارنا بالانسياق وراء مبادىء غريبة .. فدارت معركة بين الاقلام أفادت منها البلاد ووجهت النشاط الادبي وجهة تحقيق المزيد من المضمون التحرري الاجتماعي الى جانب المضمون التحرري الوطني .

ونبتت منذ ذاك الحين فكرة احياء تجمع جديد للكتاب يربط في ما بينهم بلقاءات منظمة ، وسرعان ما تحققت الفكرة ، وخلق « اتحاد الكتاب اللبنانيين » الممثل بينكم الآن بشخص امينه العام والوفد المرافق له . وقد صاحب ظهور الاتحاد تنابع ظهور الكثير من الاندية والمجالس الثقافية ، الا ان الاتحاد يبقى اوسعها نشاطا ، وهو يضم معظم الشعراء والكتاب وكاتبي القصة ونقاد الادب البارزين في الحياة الادبية فضلا عن المشرفين على اصدار المجلات الادبية والمهيمنين على بعض دور النشر فيه .

قام اتحادنا منذ تأليفه حتى اليوم بنشاطات كثيرة كان اهمها ـ على الصعيد العالمي ـ الندوة التي انعقدت في موسكو عام ١٩٦٩ بين وفده ووفد اتحاد الكتاب السوفيات حول موضوع الادب والمجتمع،

ثم عادت فانعقدت في بيروت عام ١٩٧٢ بين وفد من ادباء السوفيات ووفد من ادباء الاتحاد . واللقاء النموذج بين اتحادي الكتاب اللبنانيين والبلغار ووقعت فيه اتفاقية تعاون بينهما انطلاقا من مبدأ توطيد اسباب التعاون وتوثيق صلات الصداقة بيننا وبين الشعوب الاخرى . والنشاط الذي قام به على الصعيد المحلي مع الهيئات الثقافية في لبنان لاحباط مشروع « الهرم الثقافي » وهو مشروع كان يسعى واضعوه من ورائه الى تقييد حركة الثقافة وتطويق نشاط الفكر وبالتالي مصادرة حرية الرأي والتعبير بحل الجمعيات والمجالس الثقافية وربطها بجهاز الحكم.

ومن جملة ما قام به اتحادنا على هذا الصعيد تنظيم الشهر الشعري الذي دعا فيه خمسة من شعراء العرب الكبار الذين يمثلون الاتجاه التجديدي في الشعر لالقاء نماذج من قصائدهم على الجماهير التي غصت بها يومئذ قاعة الاونيسكو في بيروت ، فضلا عن المحاضرات والمناظرات التي قام بها اعضاؤه ورصدوا فيها حركة تطور ادب القصة والمسرح وعالجوا فيها مشكلة تعريب العلوم وهي هدف من اهداف الثقافة الوطنية .

وقد اقترن نشاط الاتحاد على الصعيدين المحلي والعالمي بنشاط مماثل على الصعيد الدولي العربي تجلى اولا في اللقاءين اللذين حصل اولهما في دمشق عام ١٩٧١ ، وثانيهما في بيروت عام ١٩٧٢ بين وفدين من اتحادي الكتاب في البلدين بهدف اجراء لقاء بينهما كل اربعة اشهر تدرس فيه قضايا التعاون بين الاتحادين وتقام ندوة مشتركة في موضوع محدد .

وتجلى ثانيا في اشتراكه بالحضور وتقديم الابحاث في المؤتمرات الادبية العربية الثلاثة التي كان آخرها المؤتمر الذي انعقد في تونس خلال شهر اذار ( مارس ) من العام الحالي وفيها اضطر وفده الى ان يأخذ قرارا بالانسحاب من المؤتمر .

عقد مؤتمر الادباء العرب بتونس في ظروف بدأت تتكون منذ وفاة الرئيس جمال عبد الناصر وبلغت ذروة تكونها في العام الحالي حين عمد الحكم في مصر الى فصل ما لا يقل عن مئة من الادباء والشعراء والفنانين والصحفيين عن اعمالهم التحريرية او نقلهم الى ادارات مختلفة تبعدهم عن ممارسة نشاطهم الادبي .

ولم يشأ وفد اتحاد الكتاب اللبنانيين ان ينعقد هذا المؤتمر دون ان تثار فيه قضية الادباء المحتجزة حرياتهم في مصر وبعض البلدان العربية ، فوقف رئيسه في اجتماع رؤساء الوفود وندد بشتى اساليب القمع والاضطهاد الفكري التي تمارس في بعض الدول العربية ودعا الى ميثاق شرف يتعهد فيه الادباء بالدفاع عن حرية التعبير في كل بلد عربي يمكن ان يضطهد فيه الفكر او يحد من حريته ، والى ان ترسل برقيات احتجاج الى كل من حكومات المغرب ومصر والبحرين حيث هناك شكوى من الاضطهاد .. فلم يوافق رؤساء الوفود ومعظمهم من النوع الرسمي المرتبط بسلطات بلاده على الاقتراح اللبناني . ولما حاول الامين العام لاتحاد الكتاب اللبنانيين ان يتوجه الى الجمعية العمومية للوفود في اجتماعها الختامي ليشرح موقفه منع من الكلام فلم يجد الا الانسحاب وتسجيل موقف خزي لكل من حضر المؤتمر باستثناء ثلاثة اعضاء انسحبوا مع وفد لبنان هم رئيس وفد البحرين وعضوان من الوفد المغربي .

ان وفدنا حين اختار ان يقف موقفه المشرف هذا في تونس فانه انما فعل ذلك بدافع الانسجام مع نفسه ومع ما تفرضه عليه رسالة الادب المسؤول وتقاليده التي نشأ عليها في الوطن الذي ينتمي اليه .

وهو حين آثر الانسحاب من المؤتمر ثم من الاتحاد العام للادباء العرب لم يفعل ذلك بدافع التخريب ، وله من ماضيه ما يشهد باخلاصه ، ولا بدافع الحقد على مصر على حد زعم بعضهم او التعصب الاقليمي ، فقد اكد في بياناته اكثر من مرة ان نشاطه في هذا الصدد انما ينطلق من افكار القومية العربية ومن الفكرة التقدمية ، ومن الايمان بدور مصر الطليعي ، ومن ضرورة محاربة الاستعمار والصهيونية وتأييد المقاومة الفلسطينية ... وانما فعل ذلك لانه يرى ان ما يحدث في مصر من قمع للفكر واضطهاد للطلاب لا يمكن عزله عن دوافع سياسية مبنية على وجهة نظر مغلوطة او غير متفقة مع اهداف المخلصين .

ولذا فهو يهيب بوفودكم ان ترفع الصوت معه ضد كل اضطهاد ، ويتوجه من على منبركم بنداء الى اخوانه الادباء العرب ينبههم فيه الى ما بلوح في الافق من اخطار قد تعرض نهضتهم الى الانتكاس .

* * *

واني وانا اختم هذا التقرير اشعر انه ربما فاته ذكر بعض الحوادث او تفصيل بعض المواقف ولكني حين اتتبع من خلاله حركتنا الادبية من البداية الى النهاية يداخلني السرور ازاء التطور السريع المتلاحق الذي وصلت اليه نشاطات الجمعيات الادبية وحركات الكتاب في بلادنا .

فمن ثمارها ان الثقافة في ربوعنا هذه الايام لم تعد معزولة عن حياة المجتمع ، ولم يعد هناك حاجز بين النشاط الفكري وسائر مجالات النشاط الانساني ، وان الادب صار بتوجيهها مرتبطا ارتباطا عضويا بحركة الكفاح العربي التحرري وبحركة التطور التاريخية لمجتمعنا العربي كله ، وازداد حجم الدور الذي بات يؤديه المثقفون في حركة تجديد انتاج الثقافة الوطنية او اعادة امتلاك تاريخنا الثقافي ، وسرنا اشواطا في التغلب على جميع عقد النقص التي اوجدها في النفوس ماض لم نكن نملك فيه شيئا من امورنا ، وبرزت عندنا نماذج عديدة من الابداعات العلمية والفنية والادبية والفكرية ذات المستوى العالمي ، وفتحنا نوافذنا لكل جديد وقيم في الحضارات العالمية .

ولست أعني بما ذكرت اننا بلغنا حد الكمال ، فان لدى اتحاد الكتاب اللبنانيين مشاريع عديدة عليه ان يسعى لتحقيقها ، وهو قادر على ذلك بفضل التأييد الشامل الذي حصل عليه من الكتاب والمثقفين في لبنان على اثر موقفه في تونس وتشجيع السيل المنهمر من برقيات التأييد ورسائل التهنئة التي ما زالت منذ ذاك الحين تنهال عليه من الكتاب الاحرار في البلدان العربية .

**أحمد أبو سعد**


## مؤلفات هربرت ماركوز

ق.ل.

- الانسان ذو البعد الواحد ٤٠٠
  **ترجمة جورج طرابيشي**
- نحو التحرر (فيماوراء الانسان ذي البعد الواحد) ٢٠٠
  **ترجمة ادوار الخراط**
- فلسفة النفي ٥٠٠
  **ترجمة مجاهد عبدالمنعم مجاهد**
- الحب والحضارة ٦٠٠
  **ترجمة مطاع صفدي**

دار الآداب ص . ب ٤١٢٣ بيروت